الانحرافات العقدية في الأندلس خلال عصر الموحدين
(ابن رشد وابن عربي أنموذجاً)

الباحث/ محمد بن أبوبكر بن حسن الصعب
باحث دكتوراه بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية
تخصص العقيدة والدعوة
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مقدمة:

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، وكان قيامها أحد أسباب سقوط دولة المرابطين، ودولة الموحدين من الدول التي ارتبط الحديث عنها بالحديث عن مؤسسها، فهي تختلف عن دولة المرابطين من حيث النشأة، والتأسيس، ذلك أن المرابطين انطلقوا من منطلق الجماعة الذين تآزروا وتآلفوا واتفقوا على هدفهم ورسالتهم، أما دولة الموحدين فلم تكن كذلك، بل كانت فكرة شخص يحمل فكراً وعقيدةً مختلفة، وله أسلوبه الخاص في الدعوة، جابه كل المخاطر، وأصر على تكوين دولته بالاستعانة بمن تأثر به، وقد كان يملك من أدوات التأثير ما جعله يبهر عقول عامة الناس، ولهذا اتبعه فئام منهم، شكّل منهم بعد ذلك دولة، ذلكم هو: محمد بن تومرت[1]؛ والذي جاء بمنهج جديد خالف فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، وخرج به على دولة المرابطين التي كانت سلفية المعتقد، ولهذا بدأت دولة الموحدين بداية مختلفة ، حيث وضع لها مؤسسها قواعد من تأليفه سماها عقيدة، واشتهرت بعد ذلك باسم: تعاليم ابن تومرت، وكان يأطر الناس عليها أطراً، ويعاقب على التخلف عنها أكثر من معاقبته على انتهاك حدود الله، ولهذا كانت دولة الموحدين بيئة مهيأة للانحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وعند سبر أغوار الحالة العقدية للموحدين نجد أن من أهم الجوانب الانحرافية عندهم، اتباع مناهج الفلاسفة، والتأثر بها، واتباع مناهج المتصوفة والتعلق بها، وهما

---

١ محمد بن عبد الله بن تومرت أبو عبد الله الملقب بالمهدي المصمودي الهرغي المغربي صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن ملك المغرب، أصله من جبل السوس من أقصى المغرب وهناك نشأ ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم، فتفقه على الغزالي وإليكا أبي الحسن الهراسي، سجن في عهد علي بن يوسف بسبب مشاغباته على المرابطين، وعلى عامة الناس، ثم أطلق سراحه بعدها، ولما خرج من السجن، غادر مراكش بحثاً عن مكان آمن يؤيه، فتوجه إلى أغمات، ثم استقر في جبل تينملل، وهناك بدأ في جمع أنصاره، وقرب منه عبد المؤمن الكومي، أحد الذين تتلمذوا وحذقوا على يد ابن تومرت، فأصبح هو الخليفة من بعده.

أقوى التيارات العقدية التي كانت إذ ذاك، ولهذا سنحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء على نموذجين من نماذج أعلام دولة الموحدين، والذين أخذا من الشهرة نصيباً وافراً، وسارت بأخبارهم الركبان، وبلغت كتبهم الآفاق، وتأثر بهم عدد كبير من الناس، في الأندلس والغرب وغيرها من البلدان، وهذه الدراسة ستلقي الضوء بشيء من الإيجاز حول هاتين الشخصيتين المهمتين في تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ بلاد الأندلس بوجه خاص.

أ) ابن رشد:

جاء في ترجمته: " ومن القضاة بقرطبة، محمد بن أبي الْقَاسم؛ أَحمد بن أبي الوليد محمد بن أَحمد بن رشد، يكنى أبا الولِيد؛ وهو حفيد أبي الوليد قاضي الجماعة بقرطبة، صاحب كتاب: البيان والتحصيل. كان من أهل العلم والتفنن في المعارف"[(١)].

نشأ أبو الوليد بن رشد الحفيد (٥٢٠ هـ – ٥٩٥ هـ) في أسرة عريقة اشتغلت بالقضاء، وهو ما ساعده على الإلمام بمذاهب الفقه وقواعده، وقد توفّرت له جميع الظروف المواتية للتبحر في علوم عصره، فدرس الطب والطبيعيات والرياضيات والفلسفة والنّحو، وهذا ما جعل منه المثقف النموذج الباحث عن لذّة المعرفة والاكتشاف، فعلاوة على عدم اكتفائه بتحصيل صنف واحد أو صنفين من صنوف المعرفة، كان شغوفاً بميادين بعيدة الصلة عن بعضها البعض، على غرار الفقه، وعلم الكلام، واللغة، والنبات، والحيوان، والفلك والطب والفلسفة. لقد كان " زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب، ومقدمهم المعترف له بصحة النظر، وجودة التأليف، ودقة الفقه. وكان إليه المفزع في المشكلات بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم. وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية كثير التصانيف مطبوعها"[(٢)].

لقد كان ظهور ابن رشد مؤشراً على الانفتاح العلمي والمعرفي الذي دخلته الأندلس خلال العهد الموحدي، فلم يعد ثم مذهب عقدي تحتكم إليه بقية المذاهب، أو يجعله الحاكم معياراً على أساسه يحاكم الناس، وهذا الأمر جعل أصحاب العقائد المختلفة يجدون بغيتهم ليظهروا في بلاد متنوعة الأعراف والأطياف، كبلاد الأندلس، فهي البيئة المناسبة لهذا التنوع، خاصةً وأن لها سلف من ذلك أيام ملوك الطوائف، كما سبق.

---

(١) تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، لأبي الحسن النباهي. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ، ص١١١.

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون. دار التراث، القاهرة، ج٢، ص٢٤٨.

لقد كانت شخصية ابن رشد شخصية متفردة، فهو وإن اعتنى بعلوم الفلسفة، فإنه لم يكن فيلسوفاً في توجهه خاصةً فيما يتعلق بوجود الله عز جل، فإنَّ من يمعن النظر في كتب ابن رشد في العقيدة يتضح له أنَّ آراءه تميزت بطابعٍ مُعين جعلته ينفرد أحيانًا عن سائر الفلاسفة؛ كابن سينا، والفارابي، والكندي، وتميّز ابن رشد أيضاً في بعض المسائل بآراء خاصَّة تتميَّز عن آراء المعتزلة والأشاعرة، وقد كان رأيُه فيها موافقًا لمذهب السلف، أو قريبًا منه.

وكذلك نهج ابن رشد في الاستدلال على وُجود الله منهج القُرآن واستدلَّ بأدلَّته، فاستعمل دليل الخلق والعناية اللذَيْن ورد بهما القُرآن.

ثم نقَد مسالك المتكلمين بأدلَّة عقليَّة يقينيَّة، وفنَّد طرقهم في إثبات العقائد الدينيَّة، ثم إنه قد قرَّر بدلائل عقليَّة يقينيَّة إثبات العلو لله سبحانه وتعالى، مؤكدًا على أنَّ براهين العقل الصحيحة تقضي بإثباته، وقد سفَّه أحلام المتكلِّمين الذين زعموا أنَّ أدلَّة العقل تدعو إلى نفيه وإنكاره[1].

ظهر ابن رشد وعلا صيته، ولمع نجمه إبان خلافة يوسف بن عبد المؤمن؛ ثاني خلفاء الدولة الموحدية بعد والده، وقد أشار عليه به جليسه والمقرب إليه: أبوبكر بن طُفيل[2]، وكان يوسف مهتماً بنشر العلوم والمعرفة، وفتح الطريق أمام طلاب العلم، واختار ابن رشد كي يشرح له أعمال أرسطو ويلخصها، وهذا يدل على أن الأمير يوسف شغوف بعلوم الفلسفة، مهتم لها، وبعد ذلك قام الأمير يوسف بتعيين ابن رشد قاضياً على أشبيلية، وذلك سنة ٥٦٥هـ، ثم بعدها بسنتين أصبح قاضي القضاة في الأندلس، ثم اتخذه الأمير طبيباً خاصاً له.

لم يكن ابن رشد رمزاً لعقيدة أهل السنة والجماعة، ولم يكن رمز الفلاسفة في الأندلس، بل كان رجلاً فريداً اعتنى بالفلسفة، وخالف الفلاسفة في قضايا عقدية مهمة، وكان بالإضافة إلى ذلك طبيباً ومهتماً بعلوم أخرى، واهتم بالتأليف في مجالات مختلفة، ومن أشهر مصنفاته: (بداية المجتهد) في الفقه، و (الكليات) في الطب، و (مختصر المستصفى) في الأصول، ومؤلفات أخرى كثيرة في الفلسفة، اهتم فيها بتلخيص فكر فلاسفة اليونان، فألف: كتاب (جوامع كتب أرسطوطاليس)، وكتاب (تلخيص الإلهيات)

(١) من رسالة جامعية بعنوان: بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات، للباحث: منيف بن عايش العتيبي، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

(٢) ابن الطفيل محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن الطفيل القيسي الاندلسي، ابو بكر: فيلسوف. ولد في وادي آش وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثم اصبح طبيبا للسلطان ابي يعقوب يوسف (من الموحدين) سنة٥٥٨ هـ ، واستمر إلى ان توفي بمراكش، وحضر السلطان بجنازته، وهو صاحب القصة الفلسفية (حتى بن يقضان). المصدر: الأعلام، للزركلي، ج٦، ص٢٤٦.

لنيقولاس، كتاب (تلخيص ما بعد الطبيعة) لأرسطو، ولخص له كتبا أخرى كثيرة يطول سردها، حتى عرف بأنه ناشر فكر أرسطو وحامل رايته، وذلك ما أدى به في نهاية المطاف إلى العزلة، فقد هجره أهل عصره لما صدر منه من مقالات غريبة، وعلوم دخيلة.

وهذا يعكس صورة الحالة العقدية لبلاد الأندلس خلال حقبة الموحدين، خاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن.

أهم المآخذ على ابن رشد:

بما أن الأمر يتعلق بدراسة الحالة العقدية للأندلس، ومعرفة حال عقيدة أهل السنة والجماعة، كان لابد من الإشارة إلى أهم المخالفات والأخطاء التي وقع ابن رشد كما رصدها أهل العلم، والتي كانت تقدح في عقيدة أهل السنة والجماعة، فمن أهمها:

١. تأويل الشريعة لتوافق فلسفة أرسطو:

إن المطلع على ترجمة ابن رشد يعرف هذه الحقيقة، ويكتشف توجهاته الفكرية، وقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "هو من أتبع الناس لأقوال أرسطو"[١]، و قد حاول جاهداً شرح فكر أرسطو وبيانه وتقريره للناس بأسلوب عربي جديد، و حين يرى مناقضة فكره مع ثوابت الشريعة الإسلامية، يحاول سلوك مسالك التأويل البعيدة التي تعود على الشريعة بالهدم والنقض، وكأن فلسفة أرسطو قرين مقابل لشريعة رب العالمين المتمثلة في نصوص الكتاب والسنة، ولذلك كتب كتابه المشهور: " فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال".

٢. تقسيم الشريعة إلى ظاهر ومؤول:

جاء في كتابه: الكشف عن مناهج الأدلة، قوله: "الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، والظاهر منها هو فرض الجمهور، والمؤول هو فرض العلماء، وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله، وأنه لا يحل للعلماء أن يفصحوا بتأويله للجمهور ، كما قال علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يفهمون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله"[٢].

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية. طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ، ج١، ص١٠٦.

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٩٩.

وقد استغرق في تقرير هذه الفكرة الباطنية في كتبه، بل إنه جعل من أبرز سمات الفرقة الناجية من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنها هي " التي سلكت ظاهر الشرع، ولم تؤوله تأويلاً صرحت به للناس"(١).

٣. ميله إلى أن البعث بعث روحاني: فقد سلك في باب: (البعث والجزاء) مسلك الفلاسفة، وذهب إلى قولهم بأن البعث هو بعث روحاني فقط، بل وقع فيما هو أشد من ذلك، حيث جعلها مسألةً اجتهادية، حيث قال: "والحق في هذه المسألة أن فرض كل إنسان فيها هو ما أدى إليه نظره فيها"(٢).

هذه بعض المآخذ على فكر ابن رشد، وليست كل شيء، لكنه مع ذلك وللإنصاف فإنه كان في كتبه يهتم لإظهار الشريعة والتمسك بها، وكان عنده شيء من لزوم الجانب العملي في الشريعة، وتعظيمها في الفقه والقضاء والفتيا، ولستُ هنا بصدد نقد ابن رشد، بل عرضت لحالة من حالات العقيدة خلال هذا العصر الموحدي، متمثلة في هذا النموذج الواضح؛ ابن رشد، رحمه الله وغفر له.

لقد كان ظهور ابن رشد وعلو نجمه أحد آثار اهتمام الخليفة الموحدي: يوسف بن عبد المؤمن، والذي كان شغوفاً بالعلوم، وكان مهتماً بعلم الفلسفة وجمع كتبها، وتقريب أربابها، وقد أشار إلى هذا عبدالواحد المراكشي في كتابه: المعجب، حيث قال: "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب"(٣).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الفلسفة وعلم الكلام وغيرها من الأفكار الدخيلة على العقيدة الإسلامية، كانت قد وجدت مكانها في بلاد الأندلس، واعتلى شأن أربابها وحملتها، ولأن عقيدة أهل السنة والجماعة هي الحق، فإنها غالبة بأمر الله، ولابد أن يهيئ الله لها من يقوم بها، وينتصر لها، وهذا ما كان في عهد الخليفة الموحدي: أبو يوسف يعقوب المنصور.

ب) ابن عربي:

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره، ولد

(١) المرجع السابق، ص١٥٠.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٤.
(٣) المعجب، ص١٧٦.

في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق(١).

وابن عربي ولد في أواخر عهد المرابطين، ونشأ وشب في أوائل عهد الموحدين، وكانت بداياته في الأندلس، ثم رحل عنها.

وولد ابن عربي في مرسية، في السابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠هـ، ونشأ في أسرة غنية متدينة، وقد عاش منذ نشأة عيشة صوفية، ولما بلغ الثامنة من عمره، ساءت أحوال مرسية السياسية بسبب دخول الموحدين، فانتقلت أسرته إلى إشبيلية، وهناك بدأ دراسته، ثم تابعها في قرطبة، وفي مرسية أيضاً.

وفي قرطبة لقي ابن رشد، أعظم فلاسفة الإسلام، وكان وقتها ابن رشد قاضي قرطبة، فدرس عليه ابن عربي الفقه والحديث، وسائر العلوم الدينية.

ولما بلغ ابن عربي الثلاثين من عمره، كثر تطوافه في العالم الإسلامي خارج الأندلس، وكثر تردده بين العدوتين؛ الأندلس، وإفريقية، من سنة ٥٩٠هـ، إلى سنة ٥٩٨هـ، ثم عظم شوقه إلى المشرق، فعزم على الرحلة إلى مكة(٢).

وكان لابن عربي من التخاريف والدواهي الشيء الكثير، نضحت بها كتبه، وجرى بها قلمه، أتى فيها بعظائم، بعضها يكفر من اعتقدها، والعياذ بالله، وهذا الإمام الذهبي رحمه الله يصف حال ابن عربي فيقول: " هذا الرجل كان قد تصوّف، وانعزل، وجاع، وسهر، وفُتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال، والخطرات، والفكرة، فاستحكم به ذلك حتّى شاهد بقوّة الخيال أشياءَ ظنّها موجودة في الخارج. وسمع من طيش دماغه خطابًا اعتقده من اللّه ولا وجود لذلك أبدا في الخارج، حتّى أَنه قال: لم يكن الحق أوقفني على ما سطّره لي في توقيع ولايتي أمور العالم، حتّى أعلمني بأني خاتم الولاية المحمّدية بمدينة فاس سنة خمسٍ وتسعين، فلمّا كانت ليلة الخميس في سنة ثلاثين وستمائة أوقفني الحقُّ على التّوقيع في ورقة بيضاء، فرسمتُه بنصّه: هذا توقيع إلهي كريم من الرؤوف الرحيم إلى فلان، وقد أجزل له رفَده وما خَيَّبْنا قصدَه، فلينهضْ إلى ما فُوِّض إليه، ولا تَشْغَلْه الولايةُ عن المثولِ بين أيدينا شهرًا بشهرٍ إلى انقضاء العمر"(٣).

"وذكر غير الذهبي أن ابن عربي سمع بمكة جامع الترمذي من زاهر بن رستم، ورأيتُ ما يدل لسماعه من زاهر، ورأيتُ سَماعه من يونس الهاشمي لشيء من «صحيح

---

(١) فوات الوفيات، محمد بن شاكر صلاح الدين الكتبي، تحقيق: إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ط١، ج٣، ص٤٣٦.

(٢) التصوف في الإسلام. عمر فروخ. مكتبة منيمنة، بيروت، ط١، ١٣٦٦هـ، ص١٦٨.

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ، ج٤٦، ص٣٧٩.

البخاري»، في نسخة بيت الطبري، بخط ابن عربي، وسماعه لذلك بمكة، وكان جاور بمكة مدة سنين، وألف فيها كتابه الذي سماه بـ"الفتوحات المكية" وله تواليف أخر، منها كتاب: فصوص الحكم، وشعرٌ كثير جيد من حيث الفصاحة، إلا أنه شانه بتصريحه فيه بالوحدة المطلقة، وصرّح بذلك في كتبه"(١).

لقد أتى ابن عربي بعظائم من الأقوال، كثير منها يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ولهذا تعقبه أهل العلم وبينوا بعض أقواله، التي هي صراحةً أقوال منكرة.

" ما يقول السادة أئمة الدين وهداة المسلمين في كتاب أُظهر للناس ، زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس ، بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، في منامٍ زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضدّ لما أنزل الله من كتبه المنزّلة ، وعكس وضدّ لما قاله أنبياؤه.

فمما قال فيه: إن آدم إنّما سمّي إنساناً، لأنه من الحق بمنزلة إنسان العين من العين، الذي يكون به النظر.

وقال في موضع آخر: إن الحقّ المنزّه، هو الخلق المشبّه.

وقال في قوم نوح: إنهم لو تركوا عبادتهم لودٍّ وسواع ويغوث ويعوق، لجهلوا من الحق أكثر مما تركوا.

ثم قال: إن للحقّ في كلّ معبود وجهاً يعرفه من يعرفه، ويجهله من يجهله، فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حين عُبد، وإن التفريق والكثرة، كالأعضاء في الصورة المحسوسة.

ثم قال في قوم هود: إنهم حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال به حر جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق، فما أعطاهم هذا الذوقي اللذيذ من جهة المنّة، وإنما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا على صراط مستقيم.

ثم أنكر فيه حكم الوعيد في حقّ من حقّت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد.

فهل يكفر من يصدّقه في ذلك، أو يرضى به منه، أم لا؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً، ولم ينكره بلسانه أو بقلبه، أم لا؟"(٢)

---

(١) جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، تألبف: الإمام تقي الدين الفاسي، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، مكتبة ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٦.

ثم أورد الفاسي جواب أهل العلم على هذه التساؤلات حول عقيدة ابن عربي، ومن ذلك اختصاراً:

قال القاضي بدر الدين بن جماعة: هذه الفصول المذكورة، وما أشبهها من هذا الباب: بدعة وضلالة، ومنكر وجهالة، لا يصغي إليها ولا يعرّج عليها ذو دِين. ثم قال: وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأذن في المنام بما يخالف ويعاند الإسلام، بل ذلك من وسواس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته.

وقوله في آدم: أنه إنسان العين، تشبيه لله تعالى بخلقه، وكذلك قوله: الحق المنزه، هو الخلق المشبّه إن أراد بالحق رب العالمين، فقد صرّح بالتشبيه وتغالى فيه.

وأما إنكاره ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد: فهو كافر به عند علماء أهل التوحيد.

وكذلك قوله في قوم نوح وهود: قول لغو باطل مردود وإعدام ذلك، وما شابه هذه الأبواب من نسخ هذا الكتاب، من أوضح طرق الصواب، فإنها ألفاظ مزوّقة، وعبارات عن معان غير محققة، وإحداث في الدين ما ليس منه، فحُكمه: رده، والإعراض عنه[(١)].

مما سبق تتضح معالم الانحراف عن الحالة العقدية خلال العهد الموحدي، فهذه الدولة قامت ابتداءً نقمةً على عقيدة التوحيد التي كان يدين بها المرابطون، وتبنى ابن تومرت القضاء على عقيدة المرابطين السلفية، ليأتي هو بعقيدة فاسدة من تلقاء نفسه، جمع فيها بين الأشعرية والمعتزلة والخوارج، بل ادعى المهدية فوافق الشيعة، وبنى دولته على هذا الأساس، ثم تعاقب الخلفاء من بعده؛ عبد المؤمن، وابنه يوسف على النهج ذاته إلا أن التطبيق كان أقل اهتماماً كلما بعد العهد، ولهذا فتح المجال أمام العقائد المنحرفة، والأفكار المخالفة للعقيدة السلفية الصحيحة، فكانت النتيجة ظهور الفلاسفة، والمتصوفة، وأهل الكلام، مما سبب خللاً في عقائد العامة إلا من رحم الله.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٩.

أهم نتائج البحث:

١. تعتبر الحالة العقدية في أي دولة من الدول، هي المعيار الحقيقي للاستقرار السياسي، فكلما كانت العقيدة راسخة، والدولة ترعاها وتحميها، وتجند الجنود لأجلها، كلما نالت هذه الدولة استقرارها، فإن الناس تحركهم العقائد، لا العواطف المؤقتة، ومهما تصارعت الأفكار المنحرفة مع العقيدة الصحيحة، فإنها لن تتمكن إلا إذا قامت الدول بتبني هذه الأفكار ونصرتها، وحينها فإن الدولة تعرض نفسها للخطر، وهذا ما حدث مع ممالك الأندلس كلها، فلم يكن لها أن تنهار إلا عندما دب الخلل إلى العقائد، وضيعت البوصلة اتجاه الحقيقية التي تشير إلى منافذ النصر والعزة، وفي المقابل فإن النصارى حين التفّوا حول عقائدهم – وإن كانت باطلة – فقد كتب لهم الغلبة، لأن الدافع كان عقدياً، وكلما كان الدافع إلى الانتصار العقيدة، كلما تحقق النصر والفوز، وهذه الأمة لم يكتب لها أي نصر إلا عندما انطلقت من منطلق عقدي إيماني صادق، وهنا لا تكون الجيوش ولا تعبئتها الحربية، ولا كل الماديات، إلا تبع للعقائد التي من أجلها تتحرك الجموع، وتحارب الدول.

٢. ما فتح على الأمة باب أضر ولا أشرّ من باب الخوض في آيات الله، والجرأة على ثوابت العقيدة، فقد تجرأ أهل الكلام أول ما تجرأوا على نصوص الكتاب والسنة، وأعملوا عقولهم القاصرة فيما هو من خصائص الرب تبارك وتعالى، وأرادوا بجهلهم أن يساووا بين الوحي الذي أنزله الخالق سبحانه، وبين ما تمليه عليهم عقولهم القاصرة، واستخدمهم الشيطان ليكونوا أدوات سوء وشر، تسببت في تفريق الأمة، وأنشأت المذاهب المنحرفة، التي ماتزال الأمة تعاني منها، والمتتبع لتأريخ الأمة الإسلامية منذ أن نشأت إلى يومنا هذا، يجد أن أهل الكلام والخائضين في آيات الله، هم وراء كل انحراف عقدي يتسبب في انهيار المجتمعات، ويجعلها عرضةً لنيل الأعداء، واستباحة بيضة الأمة.

ولقد أساء إلى الإسلام كلٌّ من مكن لأهل الكلام، وأصحاب الآراء المنحرفة، وأعطاهم الفرصة لأن ينشروا باطلهم، ويدعون إلى ضلالهم، بل إن التهاون معهم قد يكون سبباً في انهيار الدول، وضياع الهوية، وما محمد بن تومرت إلا مثال واضح، فعندما تهاون معه علي بن يوسف، وهوّن من شأنه، كانت النتيجة: إسقاط دولة المرابطين، وتمزيقها، والتي كانت أحسن حالاً، وأقرب إلى صحة المعتقد من ضلالات ابن تومرت التي بنى عليها دولته، والله المستعان.

٣. التعاطي مع الفلسفة يجب أن يكون بحذر شديد، ولا تصلح الفلسفة أن تكون منهجاً في متناول الجميع، فما تركته الفلسفة بين المسلمين من فرقة، وضياع هوية، أكثر مما حققته من مكاسب، ومن وجهة نظري أن التجربة الفلسفية في الأندلس، كانت تجربة مرة، ما أورثت إلا التفرق والاختلاف، وضياع البوصلة، حتى لو تم النظر إلى بعض فلاسفة المسلمين بإنصاف، فإنه ومع الجهد الذي بذلوه، والكتب التي ألفوها، واستفاد منها المسلمون، إلا أن لوثة الفلسفة التي أصابتهم، ألقت بظلالها وضلالها على ما كتبوه وسطروه، فأصبح المؤمن يتعامل مع كتبهم بحذر، وأعني أمثال ابن رشد، وابن عربي وغيرهم.

هذا ونسأل الله تعالى أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد..